قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (الأدب الجزائري) السنة ثالثة ليسانس، تخصص: نقد ومناهج

إعداد الأستاذة:حسناء بروش

المحاضرة رقم: 06

يوم: 2021/02/10

الأفواج: 01-02-03-04

عنـــوان المحاضرة: ياسين بن عبيد/ عالم الشهود ورحلة الوهج العذري

إنه من اليسير على قارئ "الوهج العذري" أن يضع يده على قائمة أو إحصاء لمعجم صوفي تناثر في القصائد من خلال لغة الحب والشهود والانتشاء.

وتبعا لهذا فإننا نجد في الديوان صوفية تسير في ثلاث مستويات:

-**المستوى الظاهري:** الذي يحتمل التوظيف المعجمي لصوفية تناثرت في معظم قصائد المجموعة دون تأسيس لتجزئة معقدة تحكمها وحدة عضوية، وفي هذا نجد: (سعدى وسعاد والعناق والسكر والمواجد والهواجر) يقول في قصيدته: "في مراياها انكسرنا":

سقتنا من هواجرها العذابا وهل تخشى معذبة عتابا

تـراءت في نوادينا شهابا يقل الروعة الكبرى التهابا

تهادت في يديها الكأس نشوى أدارتها حنينا واجتذابـــا

نغني في ثراها وجه سعدى ونلتم في عواقبها الرحابا

-**المستوى الثاني:** تبدأ عملية المجاهدة من خلال ثورة يعلنها الشاعر تتعرض قيمه للاهتزاز وفي ظل ذلك نلمس الخيوط الأولى لتشكل القصيدة الصوفية وأكبر الخيوط أن يمارس الشاعر الحضرة في حضرة الحلاج "منساب اليقين يسبقه شهيق الروح. يقول:

عذبت مواردها تعانقها الــرؤى صوفيــة شربت مناهل عابـــــد

يأتي بها الحلاج منقطع الهوى ويلوح معلمها البعيـد لقاصـــــد

وتخمرت منها الدوالي روعــة عصرت كروم العشق فوق موائدي

-**المستوى الثالث:** وفيه يكون الإتحاد والحلول الذي لا يأتي إلا لماما في ديوانه:

من منتهى بدئي ابتداء نهايتي في ملتقى دربي حقيقــة واردي

أنا ذاك لا أني أنا في وحدتي أو هي اغتراب مبادئي بمواجدي

في ظل هذا نقرأ قصيدته التي يبدأها بملاحقة ملحة للصوفي (الحلاج) أو المعادل الموضوعي الذي يجب أن يحتضن عالم الشاعر الخاص الذي هو عالم صوفي -دون شك- لكنه عالم قلق مضطرب إنها البداية التي يفرضها تأجج روحي تصادمي بين فضائين يشتركان في النص هما: فضاء الواقع المجسد بالدنيوية القاتلة وفضاء الروح الذي يريده الشاعر، بل ويبجله في إطار عنفوان روحي تضاءلت فيه لغة الواقع واستسلمت لمعجم منشأه العالم العلوي المؤيد بالضياء والراح والانتشاء:

اقرأ كتابك في شعاع مواعدي أنا شاعر نسج الضياء قصائدي

أنا ذاهب والراح في حنباتها عذري وذعري وانتشاء عوائــدي

للممكنات إذا استحال نوالها للمستحيل إذا تأبط ساعـــــدي

هكذا تأخذ التجربة الصوفية مسارها العلوي لدى الشاعر حينما ترتقي نحو عالم البوح لتشكل رؤية واضحة يدخل الشاعر بها محراب الوجد منشدا بالضمير (أنا) الذي جعله الصوفيون أساسا معجميا يطمئنون إليه في ظل رحلة التوحيد:

من منتهى بديء ابتداء نهايتي في ملتقى دربي حقيقــة واردي

أنا ذاهب يا كوكبي فارفع ذرا عك ثم عانــق في العراء فراقدي

هذي شفاهي للرياح مثابـــة غضري تلألأ في خضاب شدائدي

فاخفق لها فالنيران ركابها وارقب سرايــاها العتــاق بساهـــد

وفي محراب الوجد يتحقق الإتحاد والحلول، وتكون المرتبة الثانية من مراتب الفناء التي قال عنها القشيري: إنها فناء العبد "عن صفات الحق بشهود الحق" وفي ظل هذا يقول بن عبيد:

أنا ذاك لا أني أنا في وحــدتي أوحى اغتراب مبادئي بمواجــدي

ظمآن في ضوء النخيل مراتعي هيمان في عرس الضباب مواردي

وفي ظل هذا المقول يقترب بن عبيد من صوفية الحلاج الذي صدر عنه قوله:

رأيت ربي بعين قلبي فقلت من أنت قال أنت

ولا يستمر هذا الشهود لدى بن عبيد في قصيدته، إذ هو المبتدئ الواقف على أعتاب التجربة، بل هو المستعين بالحلاج فالمعادل هنا مطلوب بإلحاح، ولذلك نجده في الآتي وهو يركن إلى مراتب أقل بعد أن أعيته المرتبة الأولى، مرتبة الشهود، ويكون الزهد في هذه الحالة، أو الحنين إلى عالم إسلامي هو الماثل عنده في ظل واقعية ينزل إليها:

عرج على عقباي تشربها المنى خضراء في كف الذي هو عائدي

واقرأ متاهات الحنين بنبضـــها واعبـر لصهوتها مســالك زاهـــد

ويستمر الشاعر في عالم النزول حتى يبلغ الواقع الذي يهديه إلى حقيقة مفادها أنه شاعر وكفى:

ورجعت من روم المآرب منشدا أنا شاعر والشعر صرح عقائدي

ولكن هل يرضى الشاعر بهذا، كلا فالقلق الروحي يعاوده ولا يفارقه هذه المرة لأن خاتمة القصيدة تؤكد حلول الشاعر في صوفية بطلها الحلاج دائما:

يأتي بها الحلاج منقطع الهــوى ويلــوح معلمها البعيد لقاصـــــــد

وتخمرت منها الدوالي روعـــــة عصرت كروم العشق فوق موائدي

يا أنت يا عذبي الوصال تواترت عنبـا ووردا وامتـــلاء مشاهـــــد

كوني أكن وكما تكونين كائن أنا في دروب العشق أتلو مشاهد

وخلاصة القصيدة أنها تجربة حنين إلى عالم صوفي يرجوه الشاعر، ويتمنى أن يمارس الحضرة في ظله، لكنه لم يصل بعد إذ مازال في مراحله الأولى التي تحتم عليه أن يعانق الحلاج قبل أن يبلغ عالم المعرفة أو الشهود والتوتر الذي تحكمه درجات عالية من اضطراب الروح في صراعها مع الواقع.

قائمة المراجع:

-عمر أحمد بوقرورة: دراسات في الشعر الجزائري المعاصر.